الفصل الثاني والأربعون

كنايات العدد

(كم) (أصلها – موضعها – أحكامها) :

أول ما يرد في المعاني عن (كم) استطراد في توجيه قوله تعالى : ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [1] ، وفيه تحدث الزجاج عن (كم) رادا على الكسائي فيها حيث قالَ: " زعم الكسائي أن أصل (كم) : كما ، قال : وكنت أشتهي أن تكون مفتوحة لالتقاء الساكنين في قولهم : (كم المال) بالكسر، وهذا غلط من أبي الحسن، ولو كان كما يقول لكان : كمَ مالك كما أنك تقول : لمَ فعلت ، وليس هذا القول مما يعرج عليه " [2] .

وتحدث عن موضع (كم) وأنها لا يعمل فيها ما قبلها في الاستفهام في توجيه قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ [3] فقال : " موضع (كم) نصب بـ(أهلكنا) ، إلا أن هذا الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله " [4] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ [5] : " (كم) في موضع نصب بـ(قصمنا) " [6] .

وقال في قوله تعالى : ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [7] : " (كم) في موضع نصب بقوله : (لبثتم) ، و(عدد سنين) منصوب بـ(كم) " [8] .

وقوله : " منصوب بـ(كم) " أراد به أنه تمييز لها ، فهو منصوب لأجل ذلك .

---

(١) آل عمران /٧٠ . (٢) معانيه ٤٢٨/١ . (٣) الأنعام /٦ .
(٤) معانيه ٢٢٩/٢ . (٥) الأنبياء /١١ . (٦) معانيه ٣٨٦/٣ .
(٧) المؤمنون /١١٢ . (٨) معانيه ٢٥/٤ .

وذكر أنها تلازم الابتداء والصدارة ، وأن ما قبلها لا يعمل فيها في توجيه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ [1] فقال : " زعم بعض النحويين أن (كم) في موضع رفع بـ(يهد) ، فالمعنى عنده : أولم تبين لهم القرون التي أهلكنا من قبلهم ، وهذا عندنا ـ أعني عند البصريين ـ لا يجوز ، لا يعمل ما قبل (كم) في (كم) ، لا يجوز في قولك: كم رجل جاءني وأنت مخبر أن تقول : جاءني كم رجل ؛ لأن (كم) لا تزال عن الابتداء ، وكذلك جاز أن يفصل بينها وبين ما عملت فيه إذا نصبت بها في الخبر والاستفهام ، تقول في الخبر :

كم بجود مقرفا نال العلا ... ... [2]

ففصلت بين (كم) وبين قولك (مقرفا) بقولك (بجود) ، فيكون الفصل بين (كم) وما عملت فيه عوضا من تصرفها ، ألا ترى أنه لا يجوز : عشرون عندي درهما ، ويجوز في الخبر: كم عندي درهما جيدا ، وحقيقة هذا أن (كم) في موضع نصب بـ(أهلكنا)، وفاعل (يهد) ما دل عليه المعنى مما سلف من الكلام ، ويكون (كم) أيضا دليلا على الفاعل في (يهد) ، ويدل على هذا قراءة من قرأ : (أولم نهد ...) أي : أولم نبين لهم، ويجوز أيضا على (يهد) بالياء أن يكون الفعل لله عز وجل كقراءة من قرأ : (أولم نهد) " [3] .

قلت : اتفق القراء السبعة هنا على القراءة بالياء في (يهد) ، والخلاف بين العلماء في هذه القراءة يدور حول فاعل (يهد)،ومذهب الفراء[4] أن الفاعل هو (كم)، كأنك قلت : أولم تهدهم القرون الهالكة ، وهو المراد بقول الزجاج هنا : " زعم بعض النحويين " ، وقد نقل مكي [5] هذا القول عن الفراء ، واعترضه بنحو ما ذكره الزجاج ، وقال الألوسي [6] : لا يجوز أن تكون (كم) فاعلا لصدارتها ، كما نص على ذلك الزجاج حاكيا له عن البصريين .

---

(١) السجدة /٢٦ .

(٢) صدر بيت من المديد ينسبب إلى أنس بن زنيم أو عبد الله بن كريز أو أبي الأسود ، وعجزه : * وكريما بخله قد وضعه * ، وقد رواه سيبويه (١٦٧/٢) بالرفع والنصب والجر في (مقرفا) و(كريما) ، ويروى بالجر وحده في شرح الكافية للرضي ٢٤٠/٣ ، والأشموني المحقق ٣٣٥/٣ ، وانظر ابن يعيش ١٣٢/٤ ، والخزانة ٤٧١/٦ .

(٣) معانيه ٢١٠/٤ ، ٢١١ . (٤) معاني الفراء ٣٣٣/٢ . (٥) المشكل ١٩/٢ .

(٦) روح المعاني ١٣٩/٢١ .

وذكر في قوله تعالى : ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ [1] أن (كم) الخبرية تفيد الكثرة ، وفي ذلك يقول : " جاء (شفاعتهم) واللفظ واحد ، ولو قيل : (لا تغني شفاعته شيئا) لجاز ، ولكن المعنى معنى جماعة ؛ لأن (كم) سؤال عن عدد وإخبار بعدد كثير ؛ لأن (رب) للقلة ، و(كم) للكثرة " [2] .

وفي كلامه هذا تصريح بأن (كم) تأتي للاستفهام والخبر .

(كاين) (معناها – لغاتها) :

تحدث عنها الزجاج في ثلاثة مواضع :

الأول : في توجيه قوله تعالى : ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [3] ، وفيه يقول : " تفسيرها : كم من نبي ، وفيها لغتان جيدتان بالغتان يقرأ بهما جميعا ، يقرأ : (وكأين) بتشديد، و(وكائن) وزن فاعل ، وأكثر ما جاء الشعر على هذه اللغة، قال جرير:

وكائن بالأباطح من صديق ... يراني لو أصبت هو المصابا [4]

وقال الشاعر أيضا :

وكائن رددنا عنكم من مدجج ... يجيء أمام الألف يردى مقنعا [5]

ومثل التشديد قوله :

كأين في المعاشر من أناس ... أخوهم فوقهم وهم كرام [6] " [7]

الثاني : في قوله تعالى : ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ [8] ، وفيه يقول : " معنى (وكأين من قرية) : عدد كبير من القرى ، ويجوز : وكأين بتشديد الياء ، ويجوز : وكائن من قرية ، وهو عند البصريين في معنى : كالعدد الكبير ، تقول : وكأين من رجل جاءني ، معناه كالعدد الكبير من الرجال " [9] .

---

(١) النجم /٢٦ . (٢) معانيه ٥/٧٣ ، ٧٤ . (٣) آل عمران /١٤٦ .

(٤) من الوافر ، في ديوانه ص٢١ ، والخزانة ٥/٣٩٧ ، وابن يعيش ٤/١٣٥ ، وشرح التسهيل لابن مالك ٥/٣٩٧ .

(٥) من الطويل ، ومن شواهد الكتاب ٢/١٧٠ ، وينسب فيه لعمرو بن شأس ، والمدجج : اللابس سلاحه تاما ، و(يردى) : يمشي بتبختر ، (مقنعا) : مغطى بالسلاح كالبيضة والمغفر .

(٦) من بحر الوافر ، ولم أعثر له على قائل . (٧) معانيه ١/٤٧٥ ، ٤٧٦ .

(٨) الحج /٤٨ . (٩) معانيه ٣/٤٣١ ، ٤٣٢ .

الثالث : في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً﴾[1] ، وفيه يقول : " المعنى: وكم من أهل قرية هم أشد قوة من أهل قريتك " [2] .

خاتمة في لفظ (ذيت) :

يذكر النحويون في هذا الباب أيضا (كذا) التي هي كناية عن العدد في الغالب ، وعن غيره وهو الحديث ، ولم أجد لها نصوصا عند الزجاج ، لكنه تحدث في (ما ينصرف) عن (ذيت وذيت) وهما يستعملان كناية عن الحديث ، فتحدث عن بنائهما على سبيل الاستطراد قائلا [3] : " ومثل (هيهات) قولهم : كان من الأمر ذَيَّةَ وذَيَّةَ ، و(ذَيَّة) اسم مبهم ، أي كان من الأمر ذلك الذي تعلم ، فمعناها الإشارة إلى ما كان من الأمر .

قال [4] : وكان يجب أن يكون آخره موقوفا لأن قبله متحرك ، ولكنهما شيئان جعلا شيئا واحدا ، فألزما الفتح ليفصل بين ما جاء لمعنى وهو شيء واحد وبين ما جاء لمعنى وهو شيئان جعلا اسما واحدا ، ففتحت الهاء كما فتح ما قبلها ، وكانت الهاء في الوصل تاء ، فكانت يلزمها التغيير فلزمتها الحركة " .

ثم تحدث عن لغات العرب في استعمالهم فقال : " وفي (ذَيَّة) لغات : منهم من يقول : كان من الأمرِ ذيتَ وذيتَ ، ومنهم من يقول : ذَيتِ وذيتِ بكسر التاء ، ومنهم من يقول : ذيتُ وذيتُ .

فالأصل في التاء أن تكون ساكنة ؛ لأنه اسم مبهم لا حظ له في الإعراب ، ففتحت التاء فيه ، وفتحها الوجه لالتقاء الساكنين ، كما قلت : كيفَ وأينَ ففتحتَ لالتقاء الساكنين .

ومنهم من يكسر التاء لالتقاء الساكنين ، ولكن الفتح أجود ؛ لثقل الكسر مع الياء ، ومنهم من يضم ؛ لأن (ذَيَّة) إخبار بغاية الأمر ، فبنيت على الضم كما بنيت (حيثُ) .

فإن قال قائل : فهل يجوز في (أين) الفتح والكسر لالتقاء الساكنين ؟ قيل له : إنما تصرف الحركات في الشيء على قدر تصرفه في نفسه ، و(أين) لا تكون إلا على لفظ

---

(١) محمد /١٣ .
(٢) معانيه ٩/٥ .
(٣) ما ينصرف ص٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ .
(٤) الكتاب ٢٩٢/٣ .

واحد وجهة واحدة ، موضوعة أبدا في صدر الكلام ، و(ذَيت) كانت (ذَيَّة) مرة ثم صارت (ذَيْت) ، فصرفت بكثرة الحركات لكثرة تصرفها ، وتصرفها أنها تكون مرة بالهاء وتشديد الياء ، ومرة بالتاء وتخفيف الياء ، وتقع مبتدأة وغير مبتدأة " .

هذا ، وبالله التوفيق

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وتم الفراغ من جمعه وتبييضه يوم السبت العاشر من ربيع الأول سنة ١٤٢٧ هـ الموافق ٨ من أبريل ٢٠٠٦م .

obeikandl.com